الإعجاز القرآني في آيات الطبيعة

(دراسة تحليلية)

م. م. هاشم عبد الله طاهر الياسري

معاون مدير عام

مركز البحوث والدراسات التربوية

المقدمة:

الحمد لله على نعمه وآلائه، الحمد لله الذي شرّف أمة العرب بالقرآن الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (سورة الزخرف 44) ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت 42)

خصَّ الله تعالى هذا الكتاب العظيم بالإعجاز الذي حيّرَ العقول، وما كان لها أن تحيط بأسراره ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء 88)، وتكفل الله تعالى بحفظه عبر العصور والأزمان، صالحاً لهذا الإنسان في كل زمان ومكان؛ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر 9).

إنه المنهج الرباني الخالد رحمة للعالمين، وشفاء لما في الصدور، ونور يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين. ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء 82).

يتصل الإنسان بخالقه رب العالمين ليصلي في محراب عبادته بقلب خاشع ولسان ذاكر كما أراد الله لعباده المؤمنين ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾(الحشر 21).

وقد اخترت الإعجاز العلمي في آيات الطبيعة؛ لأنه من بديع خلق الله، فاشتدت إليه نفسي لما فيه من أسرار وعجائب تدهش العقل ويحار فيها، وكلامي كالذي يصف نقطة من بحر واسع من العجائب الإعجاز به، ولأن العلم كلما اكتشف شيئاً جديداً ظهرت فيه أشياء عدة، لم يكن للعقل ليفكر أنها موجودة، وأشياء أخرى موجودة ولم تكتشف لما فيها من الأسرار والخفايا، ولم تكتشف حتى الآن في عصرنا هذا. وهذا الكلام كلام الله الكلام المعجز العظيم المتقن في ألفاظه.

التمهيد:

إن إعجاز القرآن لا يدرك إلا بالتذوق الفني المبني على العلم بعد أن كان يدرك بالفطرة لدى من عاصر نزول القرآن الكريم؛ فقد اقتصر إدراك هذه الناحية من كتاب الله العظيم، أي من الناحية العلمية على جماعة مخصوصة وهم الذين كانت بأيديهم وسائل هذا التذوق. كما إن وسائل التذوق الفني لم تكن على مستوى واحد عند جميع الناس، وإنما كانت تختلف من شخص إلى آخر باختلاف اطلاع كل منهم وسعة أفقه. هذا فضلاً عما أدخله المسلمون المعاصرون من علوم ومعارف كانت سائدة في مجتمعهم لم يكن للعرب عهدُ بها من قبل، ولذلك فقد اتخذت دراسات إعجاز القرآن منهجاً عكس لنا أثر تلك العلوم في هذه الدراسات[1]، وفوق كل هذا فإن القرآن هو المعجزة الخالدة ما بقي الدهر محفوظة من التغيير والتبديل. قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [2].

المعجزة في اللغة: اسم فاعل من الإعجاز والإعجاز مصدر فعله أعجز يقال أعجزه الأمر إذا حاوله فلم يستطعه، ولم تتسع مقدرته وجهده. أما المعجزة في الاصطلاح فهي أمر خارق للعادة، مفروق بالتحدي سالم عن المعارضة.[3]

الإعجاز القرآني في عصر النبوة:

الإعجاز مصدر على وزن إفعال من العجز – وفعله أعجز والفعل الثلاثي المجرد عجزَ يعجزُ وعجز عن الأمر إذا أقصر عنه، وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه والعجز الضعف. [4]

والإعجاز في الاصطلاح: هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير. [5]

مشكلة البحث:

إذا أطل الإنسان على روضة نضرة كثيرة الأزهار، وافرة الأنهار، عالية الأشجار؛ فإن عين الإنسان الناظرة تحار؛ أي أن الناظر يدير لها الطرف طويلاً. وشبيه بهذا المعنى حصل إذ إن كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والروايات العلوية والإضاءات الفاطمية واللطائف الإمامية الحاكية بهذا المعنى وتدهش العمق.

لابد من وجود بعض المشكلات في أي بحث، ولاسيما من هذا النوع الذي هو الإعجاز القرآني، ولكن بعون الله تعالى استطعنا تجاوز هذه العقبات، ومنها وجود المصادر في أماكن متفرقة حتى يكمل بعضها بعضاً، وذلك لصياغة المواضع التي تخص الإعجاز القرآني، فضلا عن تباعد الأمكنة بين مصدر وآخر؛ أي إن جميع المصادر لا يمكن الحصول عليها بسهولة من مكان واحد أو مركز واحد وكلية واحدة، بل من أماكن ومراكز مختلفة، أو من أشخاص –جزاهم الله خيرا– أسهموا بإعطائنا بعض الكتب القيمة لتكون عوناً كبيرا لنا ومصدرا لإكمال البحث، وهي من كتب الإعجاز العلمي.

أهمية البحث:

إن الإنسانية اليوم بحاجة إلى مكارم الأخلاق، إذ إن المجتمع اليوم يعالج صراعاً دائباً نتيجة ضياع المبادئ والمثل، وتبعاً لاندفاعه اللاإرادي مع المطامع والأهواء سيراً في ركاب التقاليد المفترضة والعادات المختلفة السخيفة، وعندما تتكلم عن الإعجاز ومن خلال التكوين البديع للسموات والأرض والأنهار والجبال والسهول والهضاب وغيرها، لنحد من طغيان الجسم على الروح والمادة على الإنسانية والعبودية على الحرية، وترويض الإنسان لكبح غرائزه وشهواته، ونعطيه الدليل القاطع من خلال هذا الإعجاز.

يشدنا الطموح إلى الغوص في مضمار هذا البحر الزاخر، وإن كان بإمكاننا إضافة لبنة إسلامية، ودراسة جديدة، وإثراء المكتبة الإسلامية في التعرف على الظواهر الطبيعية، والتعرف على أهم ما توصلت إليه الدراسات العلمية بشأن هذه الظواهر، ولاسيما الأرض والسماء والمياه والجبال، موضوع بحثنا هذا.

إن هذه الدراسات والاستكشافات قد تعرف عليها العلماء والباحثون من هذا الجانب أو هذه الأمور في الوقت الحاضر، بينما نرى من خلال قراءتنا للقرآن الكريم أنها مذكورة في كتابنا العزيز وقد ذكرها الله تعالى منذ الأزل ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (6).

منهجية البحث:

إن الدول المتقدمة التي حققت تقدماً كبيراً في مجال العلم والمعرفة، وتلك التي قطعت شوطاً بعيداً في مجال التقدم والتنمية، هي دول آمنت أساساً بالبحث العلمي أسلوباً ووسيلة ومنهاجاً، فاستطاعت أن تكشف مشكلاتها المختلفة، وتمكن عن طريق هذا البحث أن تطوع إمكاناتها لتحقق لمجتمعاتها الرفاهية والازدهار، ولأوطانها الاستقرار والأمن. فالبحث يعد رصيداً عزيزاً، وثروة غالية يجب تنميتها. كيف وعندما يكون البحث من صلب كتاب الله

العظيم المعجزة الربانية السمحاء، ولهذا اتبعنا لإتمام هذا البحث المنهجية الموضوعية؛ إذ عدّت مسألة الإعجاز وتفسيرها في الآيات القرآنية إنها تطرح وتفسر نفسها، فلو نظرنا إليها نظرة علمية واستخرجنا الآيات القرآنية التي تناولت الإعجاز الإلهي في الظواهر الطبيعية، ومن مصادر دينية وعلمية وبيولوجية عدة، وذلك من أجل صياغة الموضوع الاعجازي من جوانب كثيرة، وموضوعات مختلفة تؤدي إلى صياغة جميلة ومتناسقة لإكمال البحث.

الفصل الأول سنبحث فيه الإعجاز لغة واصطلاحا لنبين للقارئ معنى الإعجاز كي يكون فكرة تعينه على التعرف من ثم على معنى الظواهر الطبيعية، وهي من بديع خلق الله تعالى. كما سنبحث التكوين الإعجازي للسموات والأرض والمياه والآيات القرآنية الكريمة التي تدل على ذلك والنظرة العلمية وأقوال المفسرين.

والفصل الثاني سنتناول الآيات التي تخص الجبال وأقوال المفسرين والنظرة العلمية وحركة الجبال وإرسائها ووصفها بالشامخات.

الفصل الأول

آيات السموات والأرض والبحار والأنهار وما تحويه من إعجاز قرآني عظيم

المبحث الأول: العلاقة بين مدّ الأرض والجبال والنظرة العلمية

قال تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [7].

الإعجاز في اللغة مصدر من الفعل الرباعي (أعجزَ) المتعدي بالهمزة وفعله الثلاثي (عجزِ – يعجزُ – عجزاً) من باب ضرب وسمع بمعنى ضعف ضعفاً. فيقال أعجزَ فلان فلاناً أي صيره عاجزاً وأمر معجزُ بكسر الجيم أسم فاعل من أعجزَ فيقال عجزتُ هذه القصة أي معجزة. [8]

أما معنى الإعجاز في الاصطلاح: فلما كان الإعجاز في الشيء أن يكون ذلك الشيء بصفة يعجز الخصم أن يأتي بمثله فالإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ماعداه من الطرق. (9)

قال أحمد فكري: فإعجاز كلام الله تعالى أنما هو بهذا الطريق وهو كونه في غاية البلاغة النهاية الفصاحة على ما هو الرأي الصحيح.(10)

فالمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة(11). وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها. وأيد الله نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) بجملة من المعجزات، وأفضل معجزاته وأكملها وأجلها وأعظمها القرآن الذي نزل عليه بأفصح اللغات وأصحها وأبلغها وأوضحها وأنبتها وأمتنها ﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (12).

ولم يستطع كاتب أو شاعر ولا قارئ ولا عارف بطريقة الكتابة وبعد استدعاء خطباء العرب وبرغم بلاغتهم وفصاحتهم أن يأتوا بسورة من مثله، فأعرضوا عن معارضته عجزاً عن الإتيان بمثله: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(13) وقد تبين من ذلك أن هذه المعجزة أعجزت العالمين عن آخرهم.(14)

وعندما نتكلم عن العلاقة بين الأرض والجبال، فارتباط أصل الجبال البركانية على مايبدو وتصدعات عميقة تخترق الغلاف الصخري للأرض بالكامل، وتصل إلى نطاق الضعف في نطاق الضعف الأرضي الموجود تحت الغلاف الصخري، أو كنتيجة مباشرة لتمزق الألواح الصخرية للأرض عند خسوف أواسط المحيطات(15). ويبدو أن الطريقة التي تكونت بها الجبال بإلقاء مادتها من باطن الأرض إلى الأعلى، ثم عودتها لتستقر على سطح الأرض(16). قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [17]، ولو ضربنا مثلاً بسيطاً عن هذا الإعجاز عن ألواح الغلاف الصخري للأرض عندما يفسر تكوين الأحواض الأرضية.[18] والأدلة الزلزالية الناجمة عن الهزات الأرضية التي تؤكد حركة ألواح الغلاف الصخري للأرض المكونة لقيعان المحيطات مبتعدة عن التصدعات في منتصف المحيط باتجاه ألوان أخرى للأرض، وعند اصطدام قيعان المحيطات يتكون نظام من أقواس الجزر البركانية، وقد تنشأ التصدعات السرية.[19]

ظاهرة تثبت الأرض وامتداداتها:

يقول الدكتور زغلول النجار إن الجبال لها امتدادات تحت السطح التي ثبت أخيراً أنها تزيد على الارتفاع الظاهر بعده مرات، ثم يقول: ولم تكتشف هذه الحقيقة إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر عندما تقدم السيد (جورج أيدي) بنظرية مفادها أن القشرة الأرضية لا تمثل أساساً مناسباً للجبال التي تعلوها وافترض أن القشرة الأرضية وما عليها من الجبال لا تمثل إلا جزءاً طافياً على بحر من الصخور الكثيفة المرنة، ومن ثم فلابد أن يكون للجبال جذور ممتدة داخل تلك المنطقة العالية الكثافة لضمان نباتها واستقرارها. ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [20] وقد أصبحت نظرية (أبري) حقيقة ملموسة مع تقدم المعرفة بتركيب الأرض الداخلي عن طريق القياسات الزلزالية فقد أصبح معلوماً على وجه القطع أن للجبال جذوراً مغروسة في أعماق الأرض وقد تصل إلى ما يعادل ارتفاعها (15) مرة من ارتفاعها فوق سطح الأرض. وإن للجبال دوراً كبيراً في إيقاف الحركة الأفقية الفجائية لصفائح طبقة الأرض الصخرية[21].

وقد بدأ فهم هذا الدور منذ أواخر الستينيات ووصف القرآن الجبال شكلاً ووظيفة فقال تعالى: ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [22] وهذه قدرة الله

العظيمة ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (23).

علم الجيولوجيا واثبات الأسرار الكونية:

يعرض علم الجيولوجيا لنا بعض أسرار الأرض فقد أكد الباحثون العام 1956 إنّ تحت كل جبل عرق وامتداد له، وقد غرس في الطبقة العجينية أو اللزجة التي تحت الصخور، وقد جعل الله تعالى هذا الامتداد تحت كل جبل ماسكاً للقارات من أن تطوف أثناء دوران الأرض، فهذه الأوتاد المغروسة في الطبقة اللزجة التي تحت القارات تثبت القارات ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ (24).

وقد ذكر الدكتور فاروق الباز المتخصص في علم الجيولوجيا والفضاء ومدير معهد (سميس سوتيان) لعلوم الأرض والفضاء أن هذا السر قد ذكره القرآن قبل ألف وأربعمئة سنة فقال تعالى ﴿ وَالْجِبَالَ ﴾ (25). وقال تعالى ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (26). كما أن أثقال هذه الجبال تحفظ توازن الأرض فلا تتزعزع ولا تضطرب، وقد أشار إلى ذلك العلم الحديث عندما قرر العلماء أن أي ثقل على سطح الأرض يؤثر في دورانها، وله دور في تحقيق توازنه كالجبال والبحار والهواء بل إن كل ما حدث تشهده الأرض فوق سطحها أو تحتها كانتقال مادة من محل إلى آخر يكون له تأثير في سرعة دورانها(27)، والجبال هنا هي الأوتاد التي تمنع قشرة الأرض من الميدان أي الترنح والاهتزاز أثناء حركتها.(28) وهذا التكوين العظيم والرائع والمعجز جاء من لدن حكيم خبير ومكوّن عظيم ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (29).

أوجه الإعجاز وقوة التقبل في الظواهر الكونية:

في العصر الذي كانت تغلب عليه الخرافة والأسطورة، أنزل الله هذا العلم على رسوله الكريم، وجعله دليلاً صارخاً على الإعجاز الرباني، وأن البيئة العلمية الشاهدة بأن مصدر هذا القرآن هو خالق الأرض وعالم أسرار السموات والأرض قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (30). وهو التفكير الجليل الذي جاء لقلب إبراهيم الخليل (ع) وعقله عندما رأى القمر والشمس والكواكب: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾ (31). واستطرد نبي الله إبراهيم بهذا التفكير حتى رأى الكواكب؛ ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (32).

وهذه النصوص القرآنية الكريمة دليل عظيم على قدرة الله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (33). ووقف جميع الناس مبهوتين أمام هذه القدرة العظيمة، ولابد لهم أن يقرّوا بعجزهم ووحدانية الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾(34)

وجاءت أقوال العلماء والحكماء والمفسرين بما لا يقبل الشك، أن يتجلى هذا التكوين العظيم في قدرة الله عز وجل؛ بأن البيئة العلمية الشاهدة مصدرها هذا القرآن الذي هو من الله خالق السموات والأرض والجبال، العالم بكل أسراره؛ كما جاء في النص القرآني الكريم: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (35).

المبحث الثاني : آيات البحار والأنهار والعيون

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾(36). جاء

هذا القول الكريم من الله تعالى جل في علاه مصوراً دقة وبلاغة وجمالية هذا القرآن العظيم وكمال قدرة الله في خلقه على اختلاف أشكالها.

وقد أشار الدكتور عبد الله عمر نصيف[37] إلى دور المياه في أعطاء الصخور ألوانها المختلفة، وإضفاء الألوان المميزات للصخور والتي يعرفها لأول وهلة في الحقل والعينات اليدوية: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[38]. وإن هناك من الصخور تصنف للونها وهي كما ترى تغطي أنواعاً كثيرة نارية رسوبية متحولة.[39]

وتحدثنا كتب الجيولوجيا عن أن لون الصخر هو نتاج ألوان المعادن المكونة له، والنسيج الذي ينظمها والعوامل الجوية التي تعرضت لها، كما أن لون المعدن هو نتاج تركيبي؛ أي التركيب الكيميائي والبيئة التي تكون فيها.. مؤكسدة أم غير مؤكسدة وتفسر كتب علم المعادن أسباب تغير ألوان المعادن بظاهرة الامتصاص؛ إذ تمتص المعادن من طاقات أو موجات الأشعة المائية: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [40].

وعلى هذا الأساس تتكون أشكال جديدة من طاقات أو موجات ذات الألوان المعروفة من البنفسجي حتى الأحمر.. وبرغم أننا سنسلم بكثير من الأسباب الأخرى التي تنساق في هذا المجال فقد أردت أن ألفت الانتباه إلى عامل مهم لا أقول آخر ألا وهو الماء.

ويمكن تلخيص ذلك بالتأكيد على أن الماء هو أكثر السوائل ذات الكثافة المنخفضة انتشارا وأكثرها مقدرة على الإذابة وأكثر العوامل الكيميائية مقدرة على النقل، وهذا من حكمة الله العظيمة؛ إذ جعل الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل منها الماء الذي أخرج من خلاله الثمرات رزقاً للعباد وأصبح لزاماً على

البشر أن يشكروا الله البارئ المكون المعطي ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (41).

نزول الماء من أفضل العوامل المساعدة على تفاعلات المعادن السيليكانية في الصخور وأفضلها أيضا في المساعدة على تحويل الصخور من نارية رسوبية إلى متحولة، ولاشك أن الدور الذي يلعبه الماء في تنويع المعادن المتكونة، ومن ثم ألوان الصخور الناتجة له أثر كبير وبالغ الأهمية. (42)

ويذكر الدكتور عبد الله عمر أمثلة كثيرة لا مجال لذكرها، وتنتقل إلى عمليات التحول. وتعد من أهم العمليات التي تجري في القشرة الأرضية بما يصاحبها من تغير من ظروف الضغط والحرارة، وما ينتج عنها من تحول المعادن أو تغيير تركيبها الكيميائي وصفاتها الفيزيائية وتغيير في المظهر الخارجي للصخر.

فمثلاً المياه التي دخلت المعادن التي ترسبت بوساطة العمليات الخارجية تتفاعل معها فيتحول الأوبال إلى كوارتز ويتحول الليمونيت إلى هيماتيد أو ماجنييت ولا يوجد أدنى شك من أن للماء ومعه (ثاني أوكسيد الكاربون)، أثر في عملية التبلور وفي عملية التحول الكيميائي وإعادة توزيع المعادن وفي إعادة توزيع العناصر في داخل المعدن الواحد.. ويدخل الماء في تركيب معظم المعادن المتحولة(43). ولما كان الماء يدخل في تركيب معظم المعادن وجاء النص الكريم: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (44)، وجاء في كتابه تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾(45).

الآيات القرآنية الدالة على الظواهر الكونية الأخرى:

ذكرنا النصوص القرآنية التي تخص الأرض والسماء والمياه والمعادن الأخرى فقد وردت آيات قرآنية كريمة بذكر الليل والنهار والرياح والجنة

والنار، وكان فيها من الإعجاز والإبداع ما يسر النفس، ويضيئ الطريق؛ قال تعالى: ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.(46) وأعطى القرآن الكريم درساً للإنسانية، فكان كل واحد من البشر له ماله، وعليه ما عليه؛ فالصالحون لهم الخيرات والبركات: ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ ﴾ (47). وكافأ الله هؤلاء القوم بأن مأواهم الجنة بقوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (48).

والإيمان سمة الصالحين الذين بشرهم الله بأن لهم الجنة خالدين فيها: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (49). وتجلت عظمة الباري عندما تحدى الملحدين والكافرين، وخاطبهم بأنه جلّ وعلا يخلق من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه فيكون طيرا: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(50). وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (51). وخاطب المشركين بخطاب عظيم ووعيد كبير إذا تجاوزوا الحدود وانتهكوا الحقوق ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما سوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيرا.

وفي المقابل كانت هناك المكافأة لم أطاع الله واليوم الآخر وعمل صالحاً فإن جزاءه المغفرة والرضوان وجنات النعيم: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾(52). وجعل الله الماء حياة لكل مخلوق وأصبح رحمة يضرب بها المثل كما جاء في الحديث النبوي الشريف (رحم الله ساقي الماء ولو كان في الماء)(53).

وشبّه القرآن الكريم هذه المياه التي تنزل من السماء بالمائدة كما خاطب النبي عيسى عليه السلام رب العزة؛ قال عيسى بن مريم: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾[54]، وشبّه الله هذه المائدة التي تحيي الأرض الميتة بالنعمة الفضيلة التي نشرت لتعطي الإنسانية رونقها الصحيح ولونها البهي وعطرها الزاهي: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[55]. ولما كان في صلب بحثنا وأحد ركائزه الآيات القرآنية العظيمة التي تكلمت عن الماء وأهميته، وتعدّ المادة الأولى للصائم في رمضان من حيث الأهمية هي الماء، وبالعموم أن ممارسة الصوم في شهر رمضان تمرن الصائم على اعتياد التحرر والانعتاق من أحابيل الغريزة ومكايدها، وتشدّ عزيمته وتشحذ مواهبه وتستخرج مكامنه الدفينة ليودعها مصرف روحانيته، وليكشف عنها عند الشدائد لتمده بالثبات والعزم والخشونة والجلد، حتى ينقلب الصائم بطلاً تتفجر أعصابه أيماناً ومضاءً فلا يذل ولا يخشع ولا يستكين، وإنما يبقى كالجندي المعبأ يتحفز أبداً للدفاع والوثوب مع كل هذا الإصرار والتعبئة؛ لأننا نجد هذا الصائم عند انتهاء يومه أول شيء يهرع إليه هو الماء ليطفئ الظمأ، ويقول ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إنشاء الله.

الفصل الثاني

آيات الجبال

المبحث الأول: حركة الجبال وأقوال المفسرين والنظرة العلمية

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[56]، ذهب المفسرون القدماء في تفسير هذه الآية إلى أن المقصود بحركة الجبال هنا هو في يوم القيامة، عن أبن عباس في قوله تعالى ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ يقول قائمة وإنما قيل هي تمر مر السحاب لأنها

تجمع وتسير فيحسب رأيتها لكثرتها أنها واقفة وهي تسير سيراً حثيثاً. قال العتبي: وذلك أن الجبال تجمع وتسير في رؤية العين كالقائمة وهي تسير، وكذلك كل شيء عظيم وجمع كثير يقصر عنه النظر بكثرته، ويعد ما بين أطرافه وهو في حسبان الناظر كالواقف وهو يسير. قال القسيري: وهذا يوم القيامة أي لكثرتها كأنها جامدة أي واقفة في مرأى العين، وإن كانت تسير سير السحاب المتراكم يظن أنها واقفة وهي تسير؛ أي تمر مر السحاب حتى لا يبقى منها شيء[57]. قال تعالى ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[58] فإن جمع من المفسرين المحدثين يقول: أن أول أحوالها الاندكاك؛ وهو في قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[59]. وثاني أحوالها أنها تعبر كالعهن المنفوش (وهو الصوف المفتت) كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [60]. وثالث أحوالها أنها تصير كالهباء وهو في قوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ .[61] ورابع أحوالها إن تنسق وتحملها الرياح كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾.[62] وخامس أحوالها أن تصير سراباً كما في قوله تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[63]، وكل ذلك يوم القيامة.[64]

والمفسرون المحدثون قد اختلفوا فيما بينهم؛ فمنهم من يرى أن المقصود بحركة الجبال هو في يوم القيامة.[65] ومنهم من يرجح أن تكون حركتها في الدنيا، وسوف أدله على ذلك معتمداً أيضاً على العلوم الحديثة التي وصلت إليهم ولم يكن يعرفها القدماء. [66]

يقول الدكتور زغلول النجار: إن القرآن الكريم يحث الناس على التفكير في عدد من الظواهر من خلق الله ﷻ ، ككيفية تكوّن الجبال، وقد أدى هذا التأمل إلى بلورة نظرية التوازن التضاغطي للقشرة الأرضية، أي تعرضها لضغوط

متساوية من جميع الجهات التي تفسر كيف تنصب الجبال على سطح الأرض.(67)

كما تشير إلى أثر هذا الاتزان ودور قانون الطفو في تحديد ارتفاع منطقة ما على سطح الأرض، ويفسر ذلك انتصاب الجبال عالياً فوق سطح الأرض؛ فالجبال تنتصب مرتفعة، لأن لها جذوراً عميقة تطفو في مادة أكثر لزوجة وكثافة.(68)

وذكر النجار أيضا أن الجبال تنشأ أساساً على طرف الألواح المتصادمة، فعندما تتحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض على نحو أفقي عبر سطح الأرض، فإنها تتصادم من حين إلى آخر فيؤدي سلاسل الجبال العالية. وهذه قدرة الله العظيم وإعجاز القرآن الكريم.

أقوال المفسرين في آيات الجبال بحسب النظرة العلمية:

العلم في القرن العشرين يثبت من خلال سفن الفضاء، فقد شاهد الرواد الجبال تتحرك مع الأرض وتمر مر السحاب، ولو قيل عند نزول القرآن مباشرة أن الجبال تتحرك بنفس سرعة الأرض، وهذا دليل دوران الأرض حول نفسها، لكذّب الناس هذه الحقيقة في زمن كان الإسلام جديدا على الناس. والحقيقة أن هذه الآية معبرة عن أهمية سرعة جسم ما بالنسبة للإحساس به، وإدراك جرمه وهيئته إلى جانب الأبعاد المعروفة من طول وعرض وارتفاع وتأثير السرعة في إدراك الحركة والسكون، ومعروف أن حركة الجبال تعود إلى حركة الأرض التي تبلغ سرعتها حداً يخيل للإنسان وهو فوقها أنها لا تتحرك.(69)

ولكي نعرف حقيقة هذا التسيير نذكر هذه الآيات الأربع للدقة(70):

1- ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (71).

2- ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ (72).

3- ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ .[73]

4- ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾[74]

لذلك نجد أنه نتيجة مباشرة لتمزق ألواح الغلاف الصخري للأرض عند خسوف أواسط المحيطات[75]، ويبدو أن الطريقة التي تكونت بها الجبال بإلقاء مادتها من باطن الأرض إلى الأعلى، ثم عودتها لتستقر على سطح الأرض.[76]

الجبال رواسي الأرض لئلا تميد:

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[77]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[78]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[79].

معنى الإلقاء في اللغة:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: اللقي ما ألقى الناس من خرقة ونحوه. [80] وقال ابن فارس: ألقيته نبذته إلقاءً والشيء الطريح لقى. [81] وفي الصحاح: وألقيته طرحته تقول إلقِه من يدك وألقي به من يدك.[82]

أما الميد في اللغة:

ذكر الخليل: الميد هو الذهاب والمجيء والاضطراب، ومادت المرأة مالت وتبخترت كما يميد الغصن.[83] وقال أحمد بن فارس: الميد: التحرك ومادَ يميدُ ومادت الأغصان تميد : تمايلت.[84] وجاء النص القرآني الكريم في إرساء الجبال ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [85].

معنى الرسو في اللغة:

قال الخليل وأرسى الجبال يرسو، إذا ثبت أصله في الأرض، ورست السفينة وانتهت إلى قرار الماء فبقيت لا تسير. والمرساة: أنجرَ يشدُ بالجبال فيرسل في البحر فيمسك بالسفينة ويرسيها فلا تسير.(86)

وذكر أبن فارس: الراء والسين والحرف المعتل أصلٌ يدل على ثبات فنقول: رسا الشيء يرسو إذا ثبت والله جل ثناؤه أرسى الجبال؛ أي أثبتها وجبل راسي أي ثابت. (87)

وفي الصحاح: الرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ واحدتها (راسية)(88)، وذكر المفسرون أن معنى أرساها أثبتها في الأرض.

قال الطبري: وقوله تعالى (والجبال أرساها)، يقول والجبال أثبتها فيها.(89). وقال الزمخشري وإرساء الجبال وإثباتها أوتاد لها حتى تستقر ويستقر عليها.(90) وذكر أبن كثير "لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال".(91) وإلى ذلك ذهب أيضا (أبو السعود)؛ قال: أرساها أي أثبتها، وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها. (92)

أقوال المفسرين في هذه الآيات:

ذكر أكثر المفسرين أن معنى الرواسي: الثوابت وقوله تعالى ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾؛ أي لئلا تميد بكم ولا تتحرك ليتم القرار عليها أو كراهيته أن تميد بكم.(93) وقال الطبري: وبنحو ذلك قلناه في تنويهنا: قال أهل التأويل عن مجاهد أن تميد بكم أن تكفأ بكم، وقال قتادة: سمعت الحسن قال: "ما خلقت الأرض كانت تميد فقالوا ما هذه بمقرة على ظهرها أحد فأصبحوا وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال".(94)

وأورد الآلوسي قول أبن عباس، إذ قال: "إن الله تعالى لما بسط الأرض على الماء مالت كالسفينة فأرساها بالجبال الثقال لئلا تميل بأهلها".(95) وقال

الآلوسي في موضع آخر ووجه كون الإلقاء مانعاً من اضطراب الأرض بأنها كالسفينة على وجه الماء، والسفينة إذا لم تكن فيها إجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانب إلى جانب بأدنى شيء، وإذا وضعت فيها الأجرام الثقيلة تستقر فكذا الأرض لو لم يكن عليها هذه الجبال لاضطربت، فالجبال بالنسبة إليها كالأجرام الثقيلة الموضوعة في السفينة. ويجوز أن تميد الأرض بكتلتها ولا تظهر حركتها ولا يشعر بها أهلها وتكون تطير ذلك حركة السفينة من غير شعور راكبها.[96] ولا يأبى ذلك الشعور بحركتها عند احتقان البحار فيها.

النظرة العلمية في التفسير:

إن تثبيت الأرض بالجبال يكون بوساطة قوة التثاقل بالضغط الرأسي، ولولا انغراس الجبال، والقارات في أماكنها لسحبت واضطربت الأرض تحت أقدامنا، وأن أثقال هذه الجبال تحفظ توازن الأرض، فلا تتزعزع ولا تضطرب، وإن أي ثقل على سطح الأرض يؤثر في دورانها، وله دور كبير في تحقيق توازنه وأيضاً؛ أي ثقل تشهده الأرض فوق سطحها أو تحته له تأثير على سرعة دورانها، والتوازن كائن في اختلاف الكثافة، فالجبال على ارتفاعها يقابل من الطرف الآخر في أعماق المحيطات طبقات شديدة الكثافة، ومن ثم لابد من بروز هذه الجبال لحفظ التوازن مع الطبقات الصخرية الكثيفة.[97] فقشرة الأرض ميزان دقيق وحساس وكل مكان فيها متزن مع الآخر، والمعروف أن الميزان الدقيق فيه كفتان تماماً ويظل هذا الاتزان قائماً مادامت الأثقال التي على أحدى الكفتين تساوي الأثقال التي على الكفة الأخرى، فإذا تغير الثقل اضطربت الكفة الأخرى وتأثرت المقابلة لها حتما.[98]

ونحن نعلم أن هذه الجبال تكونت بارتفاع القشرة الأرضية عبر مستويات التصدع شديد الانحدار أو الرأسية، ويمكن للجبل التفاضلي للكتل المختلفة من الغلاف الصخري للأرض بمحاذاة مناطق الفصل كمستويات صدوع الأغوار (أو الأودية الخسفية)، أن يؤدي إلى تكوين جبال ذات كتل متصدعة ويحدث ذلك في أجزاء كثيرة من الأرض.[99]

المبحث الثاني : وصف الجبال بالشامخات، معنى الشموخ وقول تعالى في اللغة أقوال المفسرين في هذه الآية والنظرة العلمية في التفسير

وصف الجبال بالشامخات:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ (100)

معنى الشموخ في اللغة:

قال الخليل: جبل شامخ: طويل في السماء ويجمع شوامخ، وقد شمخ شموخاً.(101) أما قوله فرات لغةً: قال بن فارس: الماء الفرات، وهو العذب ويقال ماء فرات ومياه فرات.(102)

أقوال المفسرين في هذه الآية:

ذكر أكثر المفسرين أن معنى قوله تعالى: ﴿ رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾(103)، جبال ثوابت طوال. وعن ابن عباس قوله: جبال مشرقات. أما قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ ماءً عذباً.(104) وقال سيد قطب في ظلاله: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾ ؛ أي ثابتات سامقات، تتجمع على قممها السحب، وينحدر عنها ساقط الماء العذب، وكذا قال مجاهد وقتادة ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾؛ يعني الجبال رسّى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب. (105)

النظرة العلمية في التفسير:

في هذه الآية الكريمة معجزة علمية تربط بين الجبال بالذات، وبين الماء العذب، وهذا يشير إلى ظاهرة الثلج الدائم الذي يكلل هامات الجبال التي تكون درجة الحرارة في قممها دائماً تحت الصفر، إذا زاد ارتفاعها عن حد خاص بتوقف على موقعها من خط الاستواء فتظهر مثلاً الثلوج الدائمة على ارتفاع نحو 1.2 كيلو متر على جبال النرويج، ونحو 2.7 كيلو متر على جبال الألب، ويكون لتراكم الثلج الدائم فوق مثل هذه الجبال المرتفعة الفضل في تغذية

الأنهار بالماء نتيجة ذوبان بعض الثلج باستمرار ضغط الطبقات العليا من الثلج على السفلى، ولن تنفذ هذه الثلوج على قمم الجبال باستمرار ذوبان أطرافها الدنيا؛ لأنها كما تسيل باستمرار تكثف بخار الماء الموجود دائماً في الجو المحيط بهذه القمم، ولولا هذه الظاهرة العجيبة لجفت الأنهار، إذا أنقضت فصول الأمطار عند منابعها.(106) وهناك نظرية أخرى وهي عمل الجبال كمكثفات هائلة نصبها الله تعالى لتكثيف السحاب من الجو إذا حملته إليها الرياح، فإذا اصطدمت الرياح بقمة الجبل فإنها تبدو إلى ما فوق التشبع نظراً لبرودة هذه القمم العالية للجبال.

أما إذا اصطدمت الرياح بالجبال؛ فإن هذه الرياح تغير مجراها، إذ ترغمها الجبال على الصعود إلى المناطق العلوية، إذ يتكاثف بخارها سحاباً، ويتكاثف سحابها مطراً على أعلى تلك الجبال، ومن هنا كانت الأنهار منابعها من الجبال العالية، وتزول المطر العذب الذي كان أصله تبخر مياه البحار والمحيطات المالحة. (107)

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة العلمية في آيات الجبال وإعجازها القرآني، أرى أن من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا المختصر هي:

1- إن الإعجاز العلمي هو موضوع واسع وشيق وهو وجه من أوجه الإعجاز لما يكشفه لنا من جوانب خافية من عجائب هذا القرآن العظيم، الذي لا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، وكما ورد الرسول محمد ﷺ فيما رواه الدرامي والترمذي عن الأمام علي عليه السلام .

2- إن السموات والأرض والبحار والأنهار والعيون والرياح والموائد والثمر والأرزاق والرعد والبرق والحياة والموت كلها من قبيل إعجاز الله العظيم. قال تعالى: ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[108]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [109].

3- إن الجبال تعمل كمناطق جذب القارات من الصخور السائلة، وإنها تحفظ توازن الأرض وتحفظها أيضا من أن تميد بأهلها.

4- الأمر الذي يدهش العقل ويحار فيه هو؛ إن الجبال تمر مر السحاب لايشعر الإنسان بحركتها، وهذا من بديع صنع الخالق جل وعلا.

5- ومن الأمور التي تجذب الانتباه هي أن لصخور الجبال ألوانا وأشكالا مختلفة منها حمر ومنها بيض. والى أثر المياه في إعطاء الصخور هذه الألوان المميزة قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [110].

وفي الختام أقول: ربنا أجعل من تلاوتنا لكتابك الكريم نوراً وحبوراً وسلامة وسروراً وجعلها لنا حجة ووقاية وثبتنا على الإيمان والإحسان والهداية وأحفظنا بحولك وقوتك من كل سوء وظلاله وغواية. والحمد لله في البداية والنهاية وصلى الله على محمد الهادي الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

الهوامش :

(1) ينظر كتاب الإعجاز القرآني د . عمر الملاحويش ص/470.
(2) سورة الحجر آية (9)
(3) الإتقان في علوم القرآن السيوطي 116/2
(4) لسان العرب أبن منظور 7 / 236 (عجز)
(5) بصائر ذوي التميز/ الفيروز أبادي 65/1
(6) سورة البقرة آية (216)
(7) سورة فصلت الآية 37.
(8) القاموس المبسط (مادة عجزَ الفيروز أبادي محمد بن يعقوب ج2 ص188/187.

(9) دلائل الإعجاز الجرماني ص26.
(10) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون أحمد فكري 139/1.
(11) ينظر الجامع لأحكام القرآن (القرطبي 169/1 والإتقان في علوم القرآن للسيوطي 116/2.
(12) سورة الزخرف آية 85.
(13) سورة الاسراء آية 88 .
(14) بصائر ذوي التمييز الفيروز أبادي 67/1.
(15) المفهوم العلمي للجبال، د. زغلول النجار ص55-56/جزء 3.
(16) كتاب بينات الرسول (ص) ومعجزاته الشيخ عبد المجيد الزنداني ص93
(17) سورة الأنعام آية 75.
(18) المفهوم العلمي للجبال أ . د زغلول النجار – ج3 ص59 – 61.
(19) ينظر المصدر السابق.
(20) سورة الجاثية آية (3).
(21) كتاب بنيات الرسول (صلى الله عليه وآله) ومعجزاته . الشيخ عبد المجيد الزنداني.
(22) سورة لقمان آية (10).
(23) سورة الأنعام آية (3).
(24) سورة الدخان آية (38)
(25) سورة النبأ آية (7)
(26) كتاب التوحيد/ الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني الجزء 3/1.
(27) ينظر مع الله في السماء/ أحمد زكي ص82 والقرآن يفك لغز الأرض ص43.
(28) المعارف الكونية بين العلم والدين/ إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر إشراف د. منصور محمد حسب ص309.
(29) سورة الدخان آية 7.
(30) سورة الأنعام آية 77.
(31) سورة الأنعام آية 78.
(32) نفس السورة آية 76.
(33) نفس السورة آية 96.
(34) سورة الجاثية 27.
(35)بينات الرسول (ص) ومعجزاته الشيخ عبد الحميد الزنداني 95.
(36) سورة إبراهيم الآية (32).
(37) عمر نصيف أمين عام رابطة العالم الإسلامي نقلا عن أطروحة
(38) سورة فصلت الآية (39)
(39) الإشارات العلمية في القرآن الكريم كارم سيد غنيم نقلا عن الأطروحة 518-521
(40) سورة البقرة آية (19)
(41) سورة البقرة آية (22)

(42) عبد عمر نصيف آمين عام رابطة العالم الإسلامي (نقلاً عن الأطروحة)
(43) الإشارات العلمية في القرآن الكريم كارم سيد غنيم 518 -521
(44) سورة الانبياء آية (30)
(45) سورة الزخرف .. آية (11)
(46) سورة الجاثية .. آية (5)
(47) سورة الأنعام آية (6)
(48) سورة الدخان آية (25)
(49) سورة البقرة آية (25)
(50) سورة آل عمران آية (49)
(51) سورة آل عمران آية (59)
(52) سورة آل عمران آية (136)
(53) حديث نبوي شريف
(54) سورة المائدة آية (114)
(55) سورة الزخرف .. آية (11)
(56) سورة النمل آية (88)
(57) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن ج2 ص21، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب الإمام فخر الدين الرازي 24،189، الجامع لإحكام القرآن القرطبي 242/13، أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ البيضاوي 777/2.
(58) تفسير القرآن العظيم/ أبن كثير 379/3، أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم أبو السعود 304/6، سورة النبأ آية (20)
(59) سورة الحاقة آية (14)
(60) سورة القارعة آية (5)
(61) سورة الواقعة (5-6)
(62) سورة النمل آية (88)
(63) تفسير القرآن العظيم/ أبن كثير 379/3، أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم أبو السعود 304/6، سورة النبأ آية (20)
(64) ينظر زاد المسير في علم التفسير/ الجوزي 195/6
(65) فتح القدير الشوكاني /364/5. روح العاني للألوسي 34/21/7
(66) من ظلال القرآن/ سيد قطب، صفوة التضامير للصابوني 321/2
(67) المفهوم العلمي للجبال/ د. زغلول النجار ص40.
(68) المفهوم العلمي للجبال / د. زغلول النجار ص50/49
(69) تفسير محاسن التأويل (محمد جمال الدين 90/13 ، تفسير التحرير التنوير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور 48/20 -51، الإسلام في عصر العلم/ د. محمد أحمد الغمراوي 237-274.
(70) القرآن والعلم، أحمد محمود سليمان ص15.
(71) سورة النمل آية (88)

(72) سورة طه الآية (105)
(73) سورة المرسلات الآيات (8 ، 9 ، 10)
(74) سورة الواقعة (5-6)
(75) المفهوم العلمي للجبال/ د. زغلول النجار ص 55 – 56/ج3.
(76) كتاب بينات الرسول (ص) ومعجزاته الشيخ عبد المجيد الزنداني ص93.
(77) سورة النحل آية (15)
(78) سورة لقمان آية (10)
(79) سورة الأنبياء آية (31)
(80) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الفراهيدي القي 216/5
(81) مقاييس اللغة أبو الحسن أحمد بن فارس مادة (لقى) 260/5
(82)الصحاح/ إسماعيل حما الجوهري 484/6
(83) العين للفراهيدي (مير) 89/8
(84) مقاييس اللغة أحمد بن فارس (مير) 288/5
(85) سورة النازعات آية 32.
(86) كتاب العين/ أبو عبد الرحمن الفراهيدي (رسا) 290/7.
(87) كتاب مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس (رسا) 394/2
(88) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أسماعيل الجواهري 356/6
(89) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري 47/30
(90) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل عن وجوه التأويل 1327/4.
(91) تفسير القرآن الكريم أبن كثير 470/4
(92) أرشاد العقل السليم محمد بن محمد ألعمادي أبو مسعود 102/9
(93) ينظر جامع البيان، الطبري 89/14، تفسير البغوي 64/2 . دار المسير/ أبن الجوزي 2435/4 ، الجامع لأحكام القرآن القرطبي 285/11، أنوار التنزيل للبيضاني 543/1، إرشاد العقل السليم/ محمد بن محمد العمادي لأبي السعود / 5 /103.
(94) جامع البيان/ الطبري 89/14.
(95) روح المعاني / الألوسي 29/14
(96) روح المعاني الألوسي/ 29/14
(97) كتاب كوكبنا نابض بالحياة/ محمد سعيد النعناعي ص60
(98) الله والكون/ د. محمد جمال الدين الفندي ص212.
(99) ينظر المفهوم العلمي للجبال/ د. زغلول النجار ج3 ص59 -61
(100) سورة المرسلات آية (27)
(101) العين الفراهيدي (شمخ) 174/4.
(102) مقاييس اللغة أبن فارس 212/3
(103) سورة المرسلات آية 27

(104) ينظر مع البيان/ الطبري 238/29، القرطبي. الجامع لأحكام القرآن 162/19 أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ البيضاوي 122/2، تفسير القرآن العظيم لأبن كثير 16/14.

(105) من ظلال القرآن/ سيد قطب 3793/6

(106) ينظر الكون والإعجاز العلمي للقرآن/ د. منصور حمد حسين 173-174 ينظر الإسلام في عصر العلم/ د. أحمد الغمراوي 304 – 305. الأرض في القرآن الكريم والعلم الحديث/ د. عبد الوهاب أحمد 87-91.

(107) الحديث حجة للأنسان د. عبد الله عبد الرحيم العبادي 49/2 الإسلام في عصر العلم د. الغمراوي ص 304.

(108) سورة الجاثية آية (5)

(109) سورة المائدة آية (114)

(110) سورة فاطر آية (27)

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- البحر المحيط في التفسير، محمد يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت 754هـ) دار الفكر بيروت لبنان 1412هـ - 1992م.

2- تفسير الدر المنثور/ عبد الرحمن بن كمال جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) دار الفكر العربي/ 1993م.

3- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب- للأمام فخر الدين الرازي (ت 604هـ) ط1 دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان (1421هـ - 2000م).

4- التوحيد/ تأليف عبد المجيد عزيز الزنداني 1410هـ - 1990م دار الأنبار بغداد.

5- جامع البيان في تأويل القرآن/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) دار الفكر- بيروت 1405هـ.

6- الجامع لإحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت 671هـ) تحقيق أحمد بن أحمد البردوني ط2 – دار الشعب، القاهرة 1372هـ.

7- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني/ أبو الفضل محمد الألوسي (ت 270هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت (د . ت)

8- زاد المسير في علم التفسير/ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ) ط3 المكتب الإسلامي بيروت 1404هـ.

9- سنن الترمذي/ محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت 279هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

10- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) إسماعيل حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ط4، دار العلم للملايين بيروت – لبنان 1407هـ – 1987م.
11- صفوة التفاسير/ محمد علي الصابون، ط 4– دار القرآن الكريم، بيروت 1402هـ 1981م).
12- الضابط اللغوي في التفسير العلمي للقرآن الكريم/ الطالبة هدى هشام إسماعيل الزيدي أطروحة مقدمة إلى كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ 2005م.
13- العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه؟ تأليف الدكتور عبد الله عبد الرحيم العبادي ط1.
14- في ظلال القرآن سيد قطب ط 30/7 ج/ دار الشروق بيروت القاهرة 1398هـ – 1978م.
15- القاموس المحيط/ محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت 817) دار الفكر بيروت لبنان.
16- كتاب العين/ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي دار الهلال للنشر بغداد /1981.
17- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل عن وجوه التأويل تأليف/ أبو القاسم الزمخشري (ت 538هـ) ط1 دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان 1404هـ – 2003م).
18- محاسن التأويل/ تأليف محمد جمال الدين القاسمي ط22. دار الفكر، بيروت 1398هـ– 1978م.
19- مع الله في السماء/ د. أحمد زكي مطبعة الديوان بغداد 1984م.
20- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ووصفه محمد فؤاد عبد الباقي.
21- معجم مقاييس اللغة/ أبو الحسن أحمد بن فارس (ت 395) تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون.
22- المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم/ أ . د زغلول النجار ج3 مكتبة الشروق الدولية.
23- المنظار الهندسي للقرآن الكريم/ د. خالد فائق ألعبيدي ط 1 دار المسيرة للنشر عمان – الأردن 1422هـ – 2001م.